Route Educational & Social Science Journal

Volume 6(3) ; February 2019

Artical History

Received/ Geliş	Accepted/ Kabul	Available Online/yayınlanma
13.1.2019	14.2.2019	15.2.2019

الإعاقة والإبداع

(دراسة تحليلية لبعض الشخصيات الأدبية والعلمية المعاصرة)

Disability and creativity
(An analytical study of some contemporary literary and scientific figures)

د.نعيمة مزرارة

أستاذة محاضرة (أ) جامعة الجزائر2

الملخص

تهدف الورقة البحثية إلى معرفة طبيعة العلاقة بين الإعاقة بمختلف أنواعها و الإبداع العلمي الفكري والأدبي لدى المعاق ،كما تهدف إلى معرفة إن كانت الإعاقة تعتبر تهديدا أم تحديا لحاملها في إظهار إبداعاته.

وتتناول الورقة في متنها محورين: المحور الأول ويتناول التعريف بمفاهيم الدراسة وهي الإعاقة بمختلف أنواعها،كما تتناول مفهوم الإبداع وخصائص وسمات الشخصية المبدعة، أما المحور الثاني ويتناول عرض لنماذج عدة شخصيات وسيرتها وتجربتها مع الإعاقة سواء كانت هذه الشخصية عربية أو غربية معاصرة فكرية علمية أو أدبية.

الكلمات المفتاحية : الإعاقة، الإبداع، الإبداع الأدبي والعلمي.

Summary

The purpose of the present paper is to find out the nature of the relationship between disability of all kinds and the scientific and intellectual creativity of the disabled. It also aims to know whether the disability is a threat or a challenge for the holder to show his creations.The paper deals with the concept of creativity and the characteristics and characteristics of the creative personality. The second axis deals with the presentation of several characters models and their experiences and experiences with disability, whether this personality is contemporary Arab or Western, intellectual or scientific Literary.

Keywords: disability, creativity, literary and scientific creativity.

المدخل

لقي موضوع الإبداع في العقدين الأخيرين اهتماما متزايدا من الدارسين والباحثين في ميدان التربية الخاصة وعلم النفس، فهناك من تناوله بالدراسة من حيث طبيعته وعوامل تكوينه، وهناك من انصب على التركيز على الأطر النظرية لهذا المفهوم، وهناك بحوث اهتمت بالفرد المبدع من حيث سمات شخصيته وخصائصها ولهذا نجد أن مفهوم الإبداع تعددت وشاعت تعريفاته، ولعل كثرة استخدامه من ذوي ثقافات وتخصصات متنوعة لا يعكس اختلافا أو تناقضا بين المهتمين بهذا المجال بقدر ما يشير إلى تعقد الظاهرة الإنسانية فالنشاط الإبداعي شأنه في ذلك شأن أي نشاط متعدد الجوانب وكل تعريف شائع في الميدان يركز على أحد جوانب الإبداع دون سواه، وإن تعدد هذه التعريفات تعد إحدى الصعوبات التي يقابلها الباحث في هذا الميدان. لكن الملاحظ على أغلب الدراسات والبحوث هو تناولها للإبداع عند الأفراد العاديين، بينما فئة ذوي الاحتياجات الخاصة كالمعاقين لم تحظى بالاهتمام الكافي من الدراسة والبحث إلا القليل منها رغم ما لهذه الفئة من مميزات وسمات متفردة ومبدعة تميزهم عن العاديين ، ففي هذا الصدد نجد دراسة فاطمة أحمد جعفر (1990) حول التعرف على الفروق بين المعاقين سمعيا والعاديين في التفكير الإبداعي وسمات الشخصية، وتكونت العينة الدراسة من (50) معاق سمعيا و(50) من العاديين، وتوصلت نتائجها إلى وجود فروق ذات دلالة إحصائية في الدرجة الكلية للتفكير الإبداعي في(الطلاقة والمرونة والتفاصيل لصالح المعاقين سمعيا، كما وجدت فروق دالة إحصائيا لصالح المعاقين سمعيا في سمات الشخصية المبكرة.

كما توصلت نتائج دراسة ريتشارد Richard(2002) إلى أن الإعاقة البصرية يمكن أن تسبب قلق وخوف مرضي ، وهذا القلق يؤدي إلى الإبداع والإقدام .

وفي نفس السياق توصلت نتائج دراسة ستوكارد Stockard (1991) إلى أن المستويات الأدنى من الإبداع وجدت عند الإناث المعاقات بصريا أكثر من الذكور(تيسير،1992،ص42)

وقد أكدت الدراسات الحديثة أن الإبداع غير اللفظي سمة مميزة للمعاقين سمعيا، إلى جانب الفن وخاصة الرسم كما أكدت على أنه يمكن الارتقاء بمستوى التفكير الإبداعي عند الطفل من خلال مجموعة من الأنشطة المدرسة المتنوعة من خلال التمثيل الصامت والأنشطة الفنية وتأليف القصص التي تنمى التفكير الإبداعي منها دراسة Lark Betty(2001) ودراسة Marschark & West (2002).

كما توصلت نتائج دراسة محمد أحمد سفيان(1991) والتي هدفت إلى دراسة العلاقة بين الإبداع الفني وبعض متغيرات الشخصية لدى فئة المكفوفين وأسفرت عن وجود علاقة موجبة ذات دلالة إحصائية بين الذكاء والتكتيك والتعبير ومتوسط الدرجة الكلية، كما توجد علاقة موجبة بين درجات تحقيق الذات وقدرات الإبداع الموسيقي(التكتيك، التعبير والتذكر)، بينما توجد فروق بين القلق وقدرات الإبداع الموسيقي في حين توجد فروق في القلق بين المبدعين موسيقيا وغير المبدعين موسيقيا ذكورا أو إناثا في متغيرات الصحة النفسية والذكاء والقلق وتحقيق الذات لصالح المبدعين منهم ، وأشارت نتائج الدراسة الإكلينيكية إلى أن المعاقين بصريا توجد لديهم القدرات الإبداعية (الطيب، أورناصور ،2004، ص170).

إن المتطلع للتاريخ يجد نماذج عدة من هذه الفئة مفكرين كانوا أو أدباء وشعراء أو مؤرخين أو علماء في إحدى المجالات العلمية.

يقال أن "العقل السليم في الجسم السليم" و لكن لو ألقينا نظرة إلى حياة بعض العباقرة والمبدعين عبر التاريخ نجدها قد تخالف هذه المقولة، فالكثير منهم لم يكونوا بأجساد معافاة تماما و الكثير منهم أيضا كانوا معاقين أو من ذوي الاحتياجات الخاصة، ولكن كل هذا لم يمنعهم من المضي قدما في الحياة ويبدعوا ليثبتوا لنا جميعا أن الإعاقة ما هي إلا إعاقة الفكر و الروح.

تساؤلات الورقة البحثية

من هذا المنطلق جاءت ورقتنا هذه تهدف إلى البحث في إشكالية العلاقة بين الإعاقة والإبداع مع ذكر نماذج لشخصيات من التاريخ كانت من ذوي الإعاقة لكنها شقت طريقها معتمدة على ذاتها ووجدت نفسها في مصاف المبدعين والعباقرة في مختلف مجالات الحياة، وعلى هذا تطرح ورقتنا هذه تساؤلين مفادهما

- ما طبيعة العلاقة بين الإعاقة بمختلف أنواعها والإبداع ؟
- هل تعتبر الإعاقة تهديدا أم تحديا لحاملها في إظهار إبداعاته وتميزه، مع ذكر نماذج لبعض الأدباء والمفكرين والعلماء ؟

أهمية الورقة البحثية

تستمد الورقة البحثية أهميتها من كونها تتناول موضوع غاية في الجدية والطرح والتناول خاصة في عصرنا الحالي حيث شهدت الدراسات في السنوات الأخيرة اهتماما متزايدا بفئة المبدعين والموهوبين العاديين ،لكن تبقى فئة المعاقين تحتاج المزيد من الأبحاث والدراسات ،كما يعتبر الموضوع الحالي ذا أهمية من خلال ما يقدمه من نتائج يمكن الاستفادة منها أسريا ومجتمعيا وتربويا عند التعامل مع المعاق.

أهداف الورقة البحثية

تهدف الورقة البحثية إلى معرفة طبيعة العلاقة بين الإعاقة بمختلف أنواعها و الإبداع العلمي الفكري والأدبي لدى المعاق ، كما تهدف الورقة إلى معرفة إن كانت الإعاقة تعتبر تهديدا أم تحديا لحاملها في إظهار إبداعاته وتميزه وذلك بعرض نماذج لأكبر شخصيات معاصرة مبدعة ومتميزة في العلم والأدب رغم ما تحمله من قصور أو إعاقة حسية أو حركية.

التعريف بمفاهيم الورقة البحثية

– الإعاقة

تعرف الإعاقة بأنها معاناة كل فرد نتيجة عوامل وراثية أو بيئية من قصور جسمي أو عقلي تترتب عليه آثار اقتصادية أو اجتماعية أو نفسية تحول بينه وبين تعلم أو أداء بعض العمليات العقلية أو الحسية، التي يؤديها الفرد العادي بدرجة كافية من المهارة والنجاح(أبو الكاس،2008،ص29).

كما يعرف عبد المنعم حنفي(1987) الإنسان المعاق بأنه: الطفل أو الفرد الذي يملك من القدرات ما هو دون المستوى، أو الذي به عيب أو نقص تشريحي أو وظيفي يجعله غير قادر على منافسة أقرانه،و قد تكون الإعاقة حسية أو حركية .

أما نوربار (Norbert,1991) فيعرف المعاق قائلا" :هو كل شخص يعاني من نقص جسمي أو عجز يمنعه من القيام بأداء وظيفي عادي".

– الإعاقة البصرية

تعريف جمعية الطب الملكية في لندن المكفوف: هو الشخص الذي يضعف بصره للدرجة التي يعجز فيها عن أداء عملية يحتاج أساسا للرؤية (عبد العزيز، 2008)

كما تعرف الإعاقة البصرية بأنها ضعف في حاسة البصر يحد من قدرة الشخص على استخدامها بفعالية مما يؤثر سلبًا في أدائه ونموه، والإعاقة البصرية ضعف في أي من الوظائف البصرية الخمس وهي: البصر المركزي، والبصر الثنائي، والتكيف البصري، والبصر المحيطي، ورؤية الألوان(الخطيب،2009،ص166).

- **الإعاقة السمعية**

مدى واسع من درجات فقدان السمع تتراوح بين الصمم والفقدان الشديد الذي يعوق تعلم الكلام واللغة والفقدان الخفيف الذي لا يعوق استخدام الأذن في السمع وتعلم الكلام واللغة وهو يضم فئتين الأصم وضعيف السمع، ويقسم الروسان(2001) المعاقين سمعياً إلى قسمين :الطفل الأصم كلياً وهو الذي فقد قدرته السمعية في السنوات الثلاث الأولى من عمره، وكنتيجة لذلك لم يكتسب اللغة، والطفل الأصم جزئياً هو الذي فقد جزءاً من قدرته السمعية، وكنتيجة لذلك فهو يسمع عند درجة معينة، وينطق اللغة وفق مستوى معين يتناسب ودرجة إعاقته السمعية (الروسان،2001،ص 45).

- **الإعاقة الحركية(الجسدية)**

هي العجز في وظيفة أعضاء الجسم ، سواء كانت أعضاء مرتبطة بالحركة كالأطراف، أو أعضاء متصلة بالحياة كالقلب، وتكون صفة دائمة تؤثر على ممارسة الفرد لحياته الطبيعية.

ويعرف الروسان الإعاقة الحركية بأنها : حالات الأفراد الذين يعانون من خلل ما في قدرتهم الحركية أو نشاطهم الحركي بحيث يؤثر ذلك الخلل على مظاهر نموهم العقلي والاجتماعي والانفعالي ويستدعي الحاجة إلى التربية الخاصة (الروسان،2001، ص269).

كما تعرف الحكومة الفيدرالية في الولايات المتحدة الأمريكية (1977) الإعاقة الحركية بأنها: إصابة جسمية شديدة تؤثر على قدرة الفرد على استخدام عضلاته وتؤثر على أدائه الأكاديمي بشكل ملحوظ ومنها ما هو خلقي ومنها ما هو مكتسب.

- **الإبداع**

يعتبر الإبداع من المصطلحات الغامضة في البحوث النفسية إلى حد ما، كما أنها أكثر غموضا لعموم الناس، ولقد اختلف العلماء في معنى الإبداع باختلاف الأطر النظرية والمدرسة التي ينتمي إليها كل عالم، ولهذا تعددت التعاريف بين من يعرف الإبداع وفق خصائص الشخص المبدع (السمات الشخصية)، وهناك من يعرفه وفق العملية الإبداعية والآخرون وفق الناتج من الإبداع وفق البيئة الإبداعية (القطاوي ،2012).

ويقول (ماكينون Mackinnon) في هذا الصدد: " إن الإبداع ظاهرة متعددة الأوجه أكثر من كونها مفهوما نظريا محدد التعريف."(الشربيني،2002،ص 93)

و يعرف مارلوك (1978) الإبداع بأنه يتمثل في القدرة على إنتاج أفكار وأفعال أو معارف وتعتبر جديدة وغير مألوفة للآخرين، وقد يكون نشاطا خياليا وإنتاجيا،أو أنه صورة جديدة لخبرات قديمة ، أو ربط علاقات سابقة بمواقف جديدة، وكل ذلك ينبغي أن يكون لهدف معين ويأخذ طابعا علميا أو فنيا أو أدبيا أو غيره.

ويرى جيلفورد (1957) :أن الإبداع هو تنظيم عدد من القدرات العقلية البسيطة وتختلف هذه التنظيمات فيما بينها مجال الإبداع، وهذه القدرات هي: الطلاقة الفكرية، والمرونة والأصالة والحساسية للمشكلات وإعادة التحديد، وهذه كلها تسمى عوامل التفكير الإبداعي(الحدراوي ، ص6).

كما يرى " فتحي جروان" بأن الإبداع يشير إلى: " نشاط عقلي مركب وهادف توجهه رغبة في قوية في البحث عن حلول أو توصيل نواتج أصيلة لم تكن معروفة سابقا"(غضان، 2006).

إذن فالإبداع هو نشاط إنساني ذهني راق و متميز ناتج عن تفاعل عوامل عقلية و شخصية و اجتماعية لدى الفرد بحيث يؤدي هذا التفاعل إلى نتاجات أو حلول جديدة مبتكرة للمواقف النظرية أو التطبيقية في مجال من المجالات العلمية أو الحياتية و تتصف هذه المجالات بالحداثة و الأصالة والمرونة والقيمة الاجتماعية.

وقبل التطرق إلى إشكالية العلاقة بين الإعاقة والإبداع فعلينا أن نوضح ما هي سمات وخصائص الشخصية المبدعة:

خصائص وسمات الشخصية المبدعة

- **الخصائص العقلية**

– القدرة على تلمس المشكلات

يمتاز المبدع بأنه يدرك الأزمات والمشكلات في المواقف المختلفة أكثر من غيره، فقد يتلمس أكثر من أزمة أو مشكلة تلح على البحث عن حل لها، في حين يرى الآخرون أن "كل شيء على ما يرام " أو يتلمسون مشكلة دون الأخريات.

– الطلاقة

وتتمثل في القدرة على استدعاء أكبر عدد ممكن من الأفكار في فترة زمنية قصيرة نسبياً.وبازدياد تلك القدرة يزداد الإبداع وتنمو شجرته. وهذه الطلاقة هي:

الطلاقة الفكرية: سرعة إنتاج وبلورة عدد كبير من الأفكار.

طلاقة الكلمات:سرعة إنتاج الكلمات والوحدات التعبيرية واستحضارها بصورة تدعم التفكير.

طلاقة التعبير: سهولة التعبير عن الأفكار وصياغتها في قالب مفهوم.

- **المرونة**

وتعني درجة السهولة التي يغير بها الشخص حالة نفسية أو وجهة عقلية معينة (سويف،1981، ص351)، إن مرونة نفس الفرد أو سهولة تغيره لتهيئه النفسي عامل هام من عوامل الإبداع فالإنسان الذي يقف عند فكرة أو يتصلب بالنسبة لطريقة من الطرق هو أقل قدرة على الإبداع من إنسان مرن التفكير قادر على التغيير حين يكون ذلك لازما، بمعنى آخر أن المبدع تكون لديه القدرة على تغيير زوايا التفكير من أجل توليد الأفكار،عبر التخلص من " القيود الذهنية المتوهمة" (المرونة التلقائية)، أو من خلال إعادة بناء أجزاء المشكلة (المرونة التكيفية).

- **الأصالة**

وتعني القدرة على إنتاج الأفكار الجديدة – على منتجها – بشرط كونها مفيدة وعملية، وتشكل هذه الخصائص بمجموعها ما يسمى بالتفكير المتشعب وهو استنتاج حلول متعددة قد تكون صحيحة من معلومات معينة، وهذا اللون من التفكير يستخدمه المبدع أكثر من التفكير المحدد وهو استنتاج حل واحد صحيح من معلومات معينة.

- **الذكاء**

أثبت العديد من الدراسات أن الذكاء المرتفع ليس شرطاً للإبداع، انما يكفي الذكاء العادي لإنتاج الإبداع.

- **الخصائص النفسية**

- الثقة بالنفس والاعتداد بقدراتها ولكن بلا غرور.
- قوة العزيمة ومضاء الإرادة وحب المغامرة
- القدرة العالية على تحمل المسؤوليات
- تعدد الميول والاهتمامات
- عدم التعصب
- الميل إلى الإنفراد في أداء بعض أعماله، مع اجتماعية وقدرة عالية على اكتساب الأصدقاء.
- الاتصاف بالمرح والأريحية.
- القدرة على نقد الذات والتعرف على عيوبها.

المحور الأول حول: طبيعة العلاقة بين الإعاقة بمختلف أنواعها والإبداع

لا شك أن هناك علاقة قوية بين الإبداع والإعاقة، حيث أن ردة فعل الشخص المعاق نحو إعاقته تكون على شكل إحدى الاحتمالين:

الأول: إما أن يأخذ بالتقوقع على الذات والهروب من المجتمع والشعور باليأس، وبذلك تكون قد انتصرت الإعاقة عليه، وجعلته سلبياً لا حيلة له، غير قادر على اكتشاف الذات والتعرف على القدرات، وغالباً يعاني من إحباط وكبت نتيجة الصعوبات التي يواجهها في حياته والقيود التي تفرضها الإعاقة عليه، كما يضعف لديه الشعور بالانتماء للمجتمع من منطلق انتماء المعاق إلى مجتمع المعاقين كمجتمع نوعي وكجماعة أقلية هامشية، ويرى روجر بارتر أن شعور المعاق بأنه عضو في جماعة أقلية تخضع كغيرها من هذا النوع في الجماعات للضغوط الاجتماعية من قبل المجتمع، هذا الشعور ينمي في المعاق الشعور بالاغتراب عن مجتمعه.

الثاني: أن يأخذ بالانطلاق نحو المجتمع والآخرين تعبيراً عن عدم الاستسلام ومقاومة الإعاقة ومن ثم الانتصار عليها، حيث يبدأ باكتشاف الذات والقدرات التي يمتلكها وتنميتها لتخرج على شكل إبداعي ينافس فيه الآخرين من أفراد المجتمع، وبذلك تكون قد شكلت له إعاقته دافعاً قوياً لإثبات الذات أمام الآخرين، وكأن لسان حاله يريد أن يقول: أنا هنا موجود ولي قدرات وأستطيع المشاركة بعملية التنمية لمجتمعي، وأريد أن تكون لي بصماتي الواضحة في مختلف المجالات أسوة بالآخرين.

وهذا هو الجانب الذي ركزنا عليه في بحثنا هذا والخاص بنماذج شخصيات مبدعة تحدت الإعاقة وقهرت الصعاب، فالإعاقة والظروف التي يعايشها المعاق قد تجعل منه في بعض الأحيان شخصاً قوياً قادراً على التحدي وبالتالي تعويض النقص الجسدي أو الحسي على شكل مهارات أخرى إبداعية فنية كانت أو رياضية أو أدبية أو قيادية.

ويدور جدال في أوساط الدراسات والبحوث في هذا المجال حول مدى العلاقة بين أنواع الإعاقة وأشكال الإبداع فالمعاقون بصرياً يميلون إلى الأعمال الإبداعية التي تعتمد على الذاكرة السمعية وإدراكهم السمعي في حين أن المعاقون سمعيا يميلون نحو الجوانب التي تعتمد على الذاكرة البصرية نظرا لبراعتهم فيها، وهذا حال المعاقين المبدعين من(الأدباء والنقاد والمفكرين والفنانين أو الشعراء والرسامين).

إن الكثير من أولئك انطلقوا بعقولهم وعلومهم وأفكارهم وآدابهم وفنهم وثقافتهم يبدعون في مجالات كثيرة منهم من وهبه الله حب القراءة والكتابة فأبدع في تأليف العديد من القصص والروايات التي أسرت قلوب وعقول قرائها ومنهم من منحه الله أصابع ذهبية وأذن موسيقية، فترك لنا كنوز من النوتات الموسيقية وغيرهم الكثيرون الذين لم يرتضوا بأن يكون مرضهم أو إعاقتهم حائلا بين أحلامهم وطموحاتهم فقرروا أن يتخطوا الصعاب ليسطروا تاريخهم بحروف من ذهب، وسوف نذكر هنا بعض الشخصيات ممن أصيبوا بإعاقات بصرية وسمعية وحركية

ولكنهم وضعوا بصمتهم واضحة في مسيرة الفكر والحضارة بل وفاقوا غيرهم من الأصحاء بمراحل كثيرة وما سيأتي ذكره إلا دليل واضح على أن الإعاقة لا تشكل حاجزا فعليا أمام العقل والفكر والهمم العالية.

المحور الثاني حول: إشكالية اعتبار الإعاقة تهديدا أم تحديا لحاملها في إظهار إبداعاته وتميزه، مع تحليل لسمات شخصية مبدعين معاقين من الأدباء والعلماء المعاصرين.

- **سمات المبدعين المعاقين بصريا:(الأديب طه حسين نموذجا)**

نبذة مختصرة عن الأديب

هو الأديب والناقد والمفكر المصري طه حسين علي،الذي ولد سنة (1889) في إحدى مدن محافظة المنيا في الصعيد الأوسط المصري، في أسرة متواضعة تضم عدد كبير من الأبناء، وقد أصيب في الثانية من عمره بمرض في عينه أدى به إلى العمى بسبب معالجته بالوسائل التقليدية، وقد أضيفت عاهته إلى معاناة الأسرة وبؤس الريف، لتخلق في نفسه ضروبا من الحزن(كريم، ص16)

لكن طه حسين تحدى هذه الإعاقة بكل ما أوتي له من قدرات وإمكانات إلى أن أصبح يلقب بعميد الأدب العربي في زمانه، وقد أحدث ثورة نقدية وأدبية واسعة في عصره ، حصل على شهادة الدكتوراه في الآداب من فرنسا وهو معاق، أسس جامعة الإسكندرية وصار مديرا لها ثم أصبح وزيرا للمعارف، كما أسس جامعة عين شمس في القاهرة .له مؤلفات كثيرة ومقالات ومحاضرات وقصص، تقلد مناصب عليا وأصبح ناقدا وكاتبا ومؤلفا ونال شهرة واسعة فلم يستطع اللحاق به لا سليما ولا معاقا، توفي طه حسين سنة (1973) تاركا وراءه رصيدا من المؤلفات نذكر منها (الأيام في أجزاءه الثلاث (1929)(1939)(1972)، على هامش السيرة في جزأين(1933)(1942)، ذكرى أبي العلاء(1915).

يتميز الأفراد المبدعين المعاقين بصريا بالعديد من السمات هي:

-أن معدل الذكاء والفهم من جانبهم يعد سريعا كما أن لديهم قدرة فائقة على التركيز: يؤكد أندرسون Anderson أن الإبداع يتطلب الذكاء والإدراك السليم والحساسية واحترام فردية الإنسان وجرأة الفرد في إيضاح أفكاره والتعبير عنها واستعداده للدفاع عن معتقداته (الشربيني، 2002،ص66).

وفي هذا الصدد كذلك ذكر(1974) Mindel&Vernon أنه أجريت نحو 50 دراسة مقارنة على مستويات الذكاء بين المعاقين والأسوياء وأثبت الإحصاء من هذه الدراسات أن الإعاقة في حد ذاتها لا تؤثر على نسبة الذكاء والفهم(رنا صالح، 2014، ص22).

فإلى جانب نتائج ما أسفرت عنه العديد من الدراسات والأبحاث في هذا المجال،فان وجود نماذج وشخصيات علمية تاريخية فكرية وأدبية كانت من ذوي الإعاقات المختلفة وحتى هناك من الشخصيات من كان من متعدد

الإعاقات كالصم والبكم (إعاقة مزدوجة)،إلا أنهم جميعا تخطوا هذه الإعاقة بذكائهم الخارق وإبداعهم المتميز،وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أن لا الإبداع ولا الذكاء و لا القدرات العقلية تتأثر بالإعاقة ، بل العكس فان الإعاقة قد تكون منطلقا ودافعا لصاحبها للابتكار في مختلف العلوم.

– تعد ذاكرة المبدعين المعاقين بصريا قوية جدا: وهذا ما لوحظ في الجزء الثاني من كتاب الأديب طه حسين " الأيام" الذي كان مرده إلى وصف سن الطفولة بأدق تفاصيلها وحيثياتها وما جرى من أحداث فيها، حيث يذكر طه حسين البيت الصعيدي الذي نشأ فيه، والسياج الذي كان يحول دون انطلاقه، والمزرعة التي كانت تنبسط من وراءه، والقناة التي كانت تنتهي إليها دنياه، كما يذكر طفولته القاسية والمؤلمة حيث كان سابع ثلاثة عشر من أبناء أبيه وأمه كان يحس أن إخوته وأخواته يستطيعون مالا يستطيع هو، وأن أمه تأذن لهم في أشياء تحضر عليه وكان يغضبه ذلك، ولم تلبث تلك الخبرات المؤلمة إلى أن تحولت فيما بعد إلى حزن مكبوت وصامت وعميق في نفسه، وقد توغل طه حسين في وصف أعماقه بدقة ليظهر لنا أثر العمى فيها وفي شتى تصرفاته وأحواله الحياتية، لكن كل هذه الخبرات الطفولية المؤلمة عبرت عن شكلها فيما بعد بأسمى طرق الإبداع والإرادة القوية وما هذا الكتاب إلا تحدي من تحديات حياة الإعاقة التي لازمته طيلة حياته.

– المبدعون المعاقون بصريا لديهم دقة كبيرة في إدراكهم وتمييزهم السمعي لنغمات الصوت ودرجاته: نظرا لأن حاجتهم وتدريبهم وتعليمهم عزز من ذاكرتهم السمعية وحسهم الفني أو الأدبي أو الموسيقي، فهم يعتمدون على حاسة السمع ، حيث يتلقون المعلومات عن طريق الإنصات، لأنهم أكثر حساسية في تمييز الأصوات والنبرات منه للمرئيات، يقول طه حسين في كتابه " الأيام" : "كان كثيرا ما يستيقظ فيسمع تجاوب الديكة وتصايح الدجاج ويجتهد في أن يميز بين هذه الأصوات المختلفة، فأما بعضها فكانت أصوات الديكة حقا وأما بعضها الأخر فكانت أصوات عفاريت تتشكل بأشكال الديكة وتقلدها عبثا وكيدا. ولم يكن يحفل بهذه الأصوات ولا يهابها لأنها كانت تصله من بعيد، وإنما كان يخاف الخوف كله من أصوات أخرى لم يكن يتبينها إلا بمشقة وجهد، كانت تنبعث من الحجرة، يمثل بعضها أزيز المرجل يغلي على النار ويمثل بعضها الآخر حركة متاع خفيف ينقل من مكان إلى مكان، ويمثل بعضها خشبا ينقصم أو عودا يتحطم"(طه حسين،1974، ص 2).

فالسمع ليس مهمًا للكفيف فحسب، ولكنه ذو أهمية بالغة للناس جميعًا، فالإنسان المبصر يتعلم الكثير من خلال الاستماع إلى الآخرين، إلا أن فقدان البصر يجعل حاسة السمع أكثر أهمية بالنسبة للمكفوف، فالشخص المكفوف ينمي ويطور مهارات الانتباه السمعي بشكل فعال جدا لهذا فالإدراك والتمييز السمعي بالنسبة للكفيف لا يقتصر على استخدامه في فهم ما يقوله الآخرون فحسب، وإنما في التعرف على نبرات ونغمات الصوت ودرجاته ومصدره واتجاهه كذلك ولعل هذه المهارة لا يتميز بها كل المعاقين بصريا بل المبدعين على الأغلب.

-يمتاز المبدعون المعاقون بصريا بمهارات تواصل لفظي مرتفعة إلى جانب كم هائل وكبير من المفردات اللغوية (الطلاقة اللغوية أو الرصيد اللغوي الثري) ويعتبر هذا ذكاء لغوي يتضمن مقدرة عالية في مهارات اللغة (القراءة والكتابة، التحدث والاستماع)كما يتضمن المقدرة على معالجة بناء اللغة وأصواتها ومعانيها ودلالتها والاستخدامات العملية للغة ومن بينها: البيان والإقناع وتذكر المعلومات، ويعد الذكاء اللغوي لازما للكتاب والأدباء والخطباء وعلماء البلاغة).

لم يكن طه حسين يمتلك اللغة وحدها فحسب، ولكنه كان يملك معها موسيقية اللغة، وهذا هو أرفع مقام يصل إليه الأديب، لأن اللغة ليست ألفاظا جامدة، ولكنها حروف لها حركة وسكون ولها سلم موسيقي خاص بها ويتميز طه حسين في كتابة سيره بأسلوب الإسهاب والاستطراد والإطناب وتمثل مقومات المدرسة البيانية صياغة وكتابة لإثارة المتلقي وتشويقه،كما يطبع كتاباته وسيره الجانب الذهني الثقافي والطابع الإنساني كما في سيرته الممتعة "أديب"(حمداوي ،2007)

فالأديب المبدع والعبقري هو الذي يستطيع بأسلوبه وبلاغته إثارة وتشويق القارئ ونقله إلى عالم المعاني والتصورات التي تجعله يتذوق الجمال والفن مع الإحساس به، وفي هذا الصدد نجد أستاذنا العقاد يضع في كتابه" مراجعات في الأدب والفنون" شرطا ذاتيا يجب توافره للأدب حتى يمكن وصف كلامه بالجمال والروعة، وذلك الشرط هو العبقرية في نقل القارئ أو المستمع إلى العالم الحي الفائض بالمعاني التي فكر فيها أفلاطون وعبدها الغزالي وشعر بها شكسبير وغناها فاجنر وتطلع إليها نيتشه وصورها ليوناردو واستنشق هوائها ألوف الملايين ممن هم أقل حظا من هؤلاء في العبقرية والابتكار ولكنهم إخوانهم في وطن المعرفة والإدراك (ميخائيل أسعد،1886،ص28).

-المبدعون المعاقون بصريا نجدهم مستقلون و معارضون للاستبداد ورافضون للواقع الاجتماعي المحيط بهم و قليلو التقبل لما هو ممل أو روتيني: فنجد طه حسين بعدما نشر الجزء الأول والثاني من كتابه " الأيام" والذي كان تعبيرا قويا عن أزمة وجودية خانقة اهتزت لها شخصيته اهتزازا عنيفا، فلم يجد الرجل بدا من التنفيس عن كربه إلا بواسطة الكتابة ، لهذا يعتبر كتابه " الأيام" سيرة ذاتية تعبر عن سخط كاتبها بواقعه الاجتماعي خاصة بعد أن عرف الحياة في مجتمع غربي متطور، ورغم أن طه حسين لم يفصح في كتابه عن الأسباب التي دفعته إلى إثارة ذكرياته، واكتفى بتجاهل الأمر بالقول " لا أدري"، إلا أن في حديث إذاعي له أفصح فيه عن هذه الأسباب بوضوح حينما قال: " هذا كتاب لم أدبر لتأليفه ولم أفكر فيه وإنما دفعت إليه دفعا قويا، دفعتني إليه الظروف القاسية ضقت فيها بالحياة في مصر فضاقت بي الحياة في مصر، فكان ذلك حين صدر كتاب " في الشعر الجاهلي" وأثار الأزمة التي أثارها، فتركتها لأقضي الصيف في فرنسا، ومع ذلك عندما وصلت إلى فرنسا لم أستطع أن أفر من هذه الظروف ولا من الواقع الذي كان يحيط بي، فقد كان الضيق بالناس وبالحياة التي يحيونها

وبحياتي بينهم يلازمني دائما، فلم أرى إلا وسيلة واحدة للهرب من هذا الضيق وهي أن أفر إلى الماضي، وللفرار من الحاضر إلى الماضي أمليت هذا الكتاب"(الهلال،1987،ص8)

خلاصة القول أن المعاقين بصرياً هم طاقة بناءة يمكن استغلالها والإفادة منها، وإلا فإن الآية تنعكس ويصبحون عوامل هدم وتشويه بدلاً من كونهم عوامل بناء وتدعيم، فمن المعروف أن المعاقين عامة والمعاقين بصرياً خاصة إن لم يشغلهم عمل يصرفون فيه جهدهم ويقضون فيه وقتهم فإنهم يتحولون إلى عناصر هدامة يتفشى بينها الانحراف الاجتماعي بشتى صوره ويصبحون عالة ثقيلة على المجتمع.

إن الأمر لا يستلزم أكثر من الاعتراف بكرامة الفرد المعاق وتدعيم الثقة في قدراته وتقبله في المجتمع بما يضيف المزيد إلى الكفاية الإنتاجية(مرسي، 1975، ص409).

- **سمات المبدعين المعاقين سمعيا: الأديب مصطفى صادق الرافعي أنموذجا)**

يقول وليد القصاب في مقال له عن أدب الرافعي: " .. والرافعي أمة في واحد، والخوض في عالمه الأدبي والنقدي مثل الخوض في بحر متلاطم زخار، وهو يشبه الغوص في أعماق مليئة باللؤلؤ والمرجان، ومهما جهد المبحر في غوصة أو غوصتين فهل يستطيع أن يحمل إلا أقل القليل من هذا البحر الغني؟ (وليد القصاب،2007)

نبذة مختصرة عن الأديب

هو مصطفى صادق الرافعي ولد عام (1298) كاتب مصري من أصل سوري لقب بمعجزة الأدب العربي، التحق الرافعي بالمدرسة الابتدائية في دمنهور، حيث كان والده قاضيا بها، وبعدها حصل على الشهادة الابتدائية بتفوق ثم أصيب بمرض يقال انه "التيفوئيد" أقعده عدة شهور في سريره وخرج من هذا المرض مصابا في أذنيه، واستفحل به المرض حتى فقد سمعه نهائيا في الثلاثين من عمره، لم يحصل الرافعي في تعليمه النظامي على أكثر من الشهادة الابتدائية، مثل العقاد في تعليمه فكلاهما لم يحصل على شهادة غير الشهادة الابتدائية، كان من أصحاب الإرادة الحازمة، فإصابته بالصمم لم تجعله يعبأ بالعقبات وإنما اشتد عزمه وأخذ نفسه بالجد والاجتهاد، وتعلم على يد والده فأبدع في الشعر و النثر.

حقق الرافعي شهرة أدبية واسعة و من أبرز مؤلفاته:تاريخ آداب العرب، المعركة تحت راية القرآن، وكتاب المساكين و كتاب السحاب الأحمر، ديوان النظرات، حديث القمر، أوراق الورد و غيرها، قال عنه الزعيم مصطفى كامل:"سيأتي يوم إذا ذُكر فيه الرافعي قال الناس:هو الحكمة العالية مصوغة في أجمل قالب من البيان "ويعد الرافعي من الأدباء الإسلاميين الذين خدموا الإسلام بأدبهم وشعرهم بإخلاص توفي عام(1937).

وللأفراد المبدعين المعاقين سمعيا العديد من السمات يتفردون بها عن غيرهم من العاديين هي:

-يمتاز المبدعون المعاقون سمعيا عن الأشخاص العاديين بالتحدي والعزيمة والإصرار وحب الاستكشاف والتأمل والانفراد : تأثر الجانب النفسي لشخصية الرافعي بظروف بيئته ومجتمعه وظروفه الصحية، ومرض

التيفوئيد الذي ألم به وآذاه، فأنهك جسمه وأفقده السمع، وتناوبت الأمراض بعد ذلك حتى انقطع عن الدراسة، وكل هذه الظروف لعبت دورا بارزا في تكوين شخصية الرافعي.

أما عن ظروف الوظيفة التي رآها قيدا عليه وعلى طموحاته – كأنه شعر أن هناك سدودا في حياته وحواجز– تخطاها بجهد دائب وعزم وتحدي وتصميم وموهبة متميزة، ولقد أثر ذلك كله في نفسيته فترك جروحا يطوي آلامها، وغضبا يكتم هيجانه وكأنه يُنفس عن نفسه بحب الطبيعة والمروج والمناظر الجميلة، وكثرة التأمل والنظر والتفكر وحبه للخلوة والانفراد، ولكن هذه كلها ولّدت في نفسه عزيمة لا تتراجع وتصميما لا يقهر، فكان يقرأ يوميا ثماني ساعات، ويتخطى ما يثير صممه من عقبات بثقة ويقين، ولا شك أن هذه العزيمة ما ولّدها فيه إلا إيمانه المستقر في فطرته وقلبه، فآمن بقضاء الله وقدره، وآمن بأن عليه واجبا يجب أن ينهض إليه ومضى على دربه حتى كتب الله له البروز والتميز في نواح جليّة من الأدب واللغة.

كان يشعر الرافعي بينه وبين نفسه أنه طاقة وموهبة، وأن عليه واجبا يود الوفاء به ومسؤولية يجب أن ينهض إليها، ليس في ميدان القتال ولكن في ميدان القلم والكلمة، فإذا كان هذا الشعور الذي عبر عنه أحيانا أثارته الموهبة والإبداع، فإن هذه الموهبة غذّاها حفظه لكتاب الله .

–يمتاز المبدعون المعاقون سمعيا بمهارات فائقة في حل المشكلات وابتكارهم لأساليب جديدة : كنا قد أشرنا آنفا في الخصائص العقلية للمبدع قدرته على تلمس المشكلات وإيجاد حلول لها، حيث تكشف هذه القدرة مدى إمكانية إدراك المبدع لعيوب نظم اجتماعية أو مواقف الحياة المختلفة بشكل عام وما تتضمنه من أوجه النقص أو الثغرات، أو القدرة على إدراك ما تحتاجه هذه المواقف من تحسينات أو تعديلات، ويمكن النظر إلى الحساسية للمشكلات على أنها قدرة الفرد المبدع على رؤية الكثير من المشكلات في موقف ما، في الوقت الذي لا يرى فيه شخص آخر عادي أية مشكلات، ويرى "جيلفورد" أن الحساسية للمشكلات شرط هام من شروط الإبداع لأنها تمثل الخطوات الأولى لأي تفكير ابتكاري (عبادة،1992،ص24)

فالرافعي حين دخل معترك الحياة بزاده الغنيّ وصحته المضطربة وصممه المستديم تلمس عدة مشكلات تحيط بمجتمعه وبالعالم العربي والإسلامي، وأدرك بأن ميادين الواقع هائجة مائجة تموج فيها التغيرات العاصفة والأحداث الدولية الكبيرة، والحرب العالمية الأولى وآثارها، وسقوط الخلافة الإسلامية، وتمزق العالم الإسلامي كله وغزو عسكري للعالم الإسلامي، وغزو فكري وثقافي علماني، وامتداد أثر ذلك في العالم الإسلامي والعالم العربي وفي مصر ذاتها، ورأى مظاهر التحول السريع، لقد ران على الشرق الإسلامي عهود من الوهن والتخلف تركت فيه أمراضا عديدة فامتد الجهل بالكتاب والسنة وباللغة العربية بين الناس امتدادا واسعا، واعوجت الألسنة باللهجات العامية وباللغات الأجنبية، وأمام هذه الفتن جاء الرافعي يحمل زاده وعلمه ويحمل أمراض جسمه ويحمل عزيمة وتصميما فوجد في الساحة سلامة موسى الذي كان يدعو إلى العامية والأدب المكشوف والفرعونية، فكان

الرافعي لسان الأمة المجاهدة عن قيمها وكرامتها ومقوماتها بأدبه وفنه وقد رفع لها أكثر من شعار(البدري،1991، ص126).

وقف الرافعي بلسانه وقلمه بالمرصاد لكل من أراد تقهقرا وتراجعا لمقومات الأمة في عصره.

– المبدعون المعاقون سمعيًا يميل عملهم الإبداعي نحو الجوانب التي تعتمد على الذاكرة البصرية: نظراً لبراعتهم فيها واعتمادهم على حاسة الإبصار في تلقي المعلومات، وذلك لأن أذهانهم تتعامل بطريقة أفضل مع المرئيات من الصور والألوان، فهم كثيرا ما يتأثرون بفن تصميم المرئيات، ولهذا نجد لديهم قدرة فائقة على انتقاء وتذوق جمال الأشياء والطبيعة والإحساس به وبالتالي نرى براعتهم الفنية في وصف هذا الجمال عن طريق: الكتابة والشعر، أو الرسم، أو النحت، وكل ما يدل على دقة الملاحظة والتمييز البصري، ولعل من أبرز نواحي حياة الرافعي حبّه وتأثره الشديد بالجمال والحُسن، وقد كان له من الكتابة في ميدان فلسفة الحب والجمال جولات واسعة امتدت فترة غير قصيرة في حياته، وفجرت فيه مواهبه النثرية والشعرية، يقول في مقدمة كتابه (وحي القلم):" إن كل حقيقة من الحقائق الكبرى: كالإيمان والجمال والخير والحق والحب ستبقى محتاجة في كل عصر إلى كتابة جديدة من أذهان جديدة".

ويستطرد الرافعي في الكلام عن الأديب المتأثر بالجمال إذ يقول عنه: " لو أردت أن تعرف الأديب من هو، لما وجدت أجمع ولا أدق في معناه من أن تسميه "الإنسان الكوني" وغيره هو الإنسان فقط، ومن ذلك ما يبلغ من عمق تأثره بجمال الأشياء ومعانيها، ثم ما يقع من اتصال الموجودات به بآلامها وأفراحها، إذ كانت فيه مع خاصية الإنسان خاصية الكون الشامل فالطبيعة تثبت بجمال فنه البديع أنه منها وتدل السماء بما في صناعته من الوحي والأسرار أنه كذلك منها، وتبرهن الحياة بفلسفته وآرائه أنه هو أيضا منها، وهذا وذاك وذلك هو الشمول الذي لا حد له، والاتساع الذي كل آخر فيه لشيء أولٌ فيه لشيء، وهو إنسان يدله الجمال على نفسه ليدل غيره عليه، وبذلك زيد على معناه معنى، وأضيف إليه في إحساسه قوة إنشاء الإحساس في غيره، فأساس عمله دائما أن يزيد على كلِّ فكرة صورة لها، ويزيد على كل صورة فكرة فيها، فهو يبدع المعاني للأشكال الجامدة فيوجد الحياة فيها، ويبدع الأشكال للمعاني المجردة فيوجدها هي في الحياة، فكأنه خلق ليتلقى الحقيقة ويعطيها للناس ويزيدهم فيها الشعور بجمالها الفني وبالأدباء والعلماء تنمو معاني الحياة ، كأنما أوجدتهم الحكمة لتنقل بهم الدنيا من حالة إلى حالة، وكأن هذا الكون العظيم يمر في أدمغتهم ليحقق نفسه، فالأديب "الإنسان الكوني" وقاد المشاعر، حارّ الأحاسيس، وأعمق بصيرة في تعرفها وإدراك أسرارها، وفي تلمس جمالها وروعتها.

إن الجمال موجود ولكن إدراكه و الإحساس به عند الأديب المبدع أكبر وأعمق (الرافعي،2003،ص205).

–يمتاز المبدعون المعاقون سمعيا بالطلاقة الفكرية، حيث لديهم مهارات فائقة في التعامل مع اللغة ودلالاتها وتوليد الأفكار المبدعة: يرى عادل عبد الله في هذا الصدد أن الموهبة بين الأشخاص ذوى الإعاقة

السمعية تكاد تتركز في المقام الأول في القدرة على ابتكار أساليب مختلفة في التواصل مع الآخرين يستطيعون على إثرها أن يتفاعلوا معهم(التواصل عن طريق الفن أو الأدب والكتابة)،وهذا ما نشهده في كتابات الرافعي بيانا وبلاغة مع قدرة متميزة على توليد المعاني، وتجديد التعبيرات، وإيراد المقابلات والمتطابقات، ومختلف أنواع البديع والبيان والبلاغة من استعارة ومجاز وتشبيه، مما كون له أسلوبا خاصا في الكتابة لا تجده عند غيره، حتى وصفه أحد الصحافيين بقوله: إنه المختار لحراسة لغة القرآن (البدري،1991، ص16).

فمن الجلي أن أول أثار القرآن الكريم في الرافعي هي اللغة العربية التي أحبها وعشقها وجاهد من أجلها وأطلق عبقريتها،فهي خط بارز في جميع كتاباته:أدبا ونثرا وشعرا،بيانا متميزا،ويكاد لا يكون هناك خلاف بين النقاد على أن للرافعي أسلوبه المتميز الذي اختص به،فلا تجده عند سواه.

–من خصائص المبدع المعاق البذل بإخلاص وتفاني وعدم التطلع إلى الوجاهة والنفوذ: بمعنى تأثره بالدافع الداخلي(كالرغبة في الإسهام والعطاء، تحقق الذات، لذة الاكتشاف، والانجذاب المعرفي ونحوها، أكثر من الدافع الخارجي (المال، الشهرة، المنصب ونحوها..) فالأديب الرافعي دلف إلى حياته الوظيفية عام (1899) وهو في سن التاسعة عشرة، فعُيّن كاتبا في محكمة "طلخا" الشرعية القريبة من "طنطا" ثم نُقل إلى محكمة "إيتاي البارود" الشرعية ثم إلى محكمة طنطا الشرعية، ثم إلى محكمة أهلية واستقر به المقام في طنطا وعاش الرافعي طوال حياته موظفا صغيرا يتقاضى راتبا ضئيلا يعيش عليه بقناعة إذ لم تكن الوظيفة في حياته إلا وسيلة تعينه على العيش الكفاف ليفرغ لنفسه بعد ذلك يقودها إلى العلا في مراتب الثقافة والأدب والفكر ليتسنم قممها العالية ويمثل مكانته اللائقة به بين كل أبناء عمره.

وفي موضع آخر يتبين لنا انجذاب الرافعي إلى الرغبة في الإسهام والعطاء العلمي والأخلاقي وابتعاده عن ملذات الدنيا كالمال والشهرة والصيت والمنصب..) فقد تأمل الرافعي حال اللغة العربية لغة القرآن على ألسنة الناس كلاما وكتابة فوجدها عجمة مستعربة أو عربية مستعجمة ووجد أن "الجملة القرآنية" قد غابت من هذه اللغة التي يكتب بها أدباء عصره فنذر نفسه أن يعيدها، فلابد له إذن أن يطرق باب النثر ليسمو به من الوحل الذي ارتكس فيه وبدأ الرافعي ذلك الانقلاب في حياته الأدبية بمحاولة إعادة الاعتبار للغة العربية والجملة القرآنية إلى لغة الإنشاء في المدارس الأولية، فالإصلاح يبدأ من هناك، وكتب عدة مقالات بديعية في الإنشاء على أمل أن يصدرها في كتاب مدرسي يسميه "ملكة الإنشاء" يتعلم الطلاب من لغته.

وكان إنشاء الجامعة المصرية آنذاك سنة(1907) وخيبة أمل الرافعي فيما تقدم للطلاب من دروس في الأدب واللغة جعلته ينصرف عن متابعة كتاب "ملكة الإنشاء" ويلتفت لما هو أهم فكتب مقالا يهاجم مناهج التدريس في الجامعة، فاهتزت إدارة الجامعة وحسبت لهجوم الرافعي حسابه، وأعلنت عن مسابقة في تأليف كتاب جامعي عن "أدبيات اللغة العربية" وجعلت للفائز 100 جنيه لمن يكتب ذلك الكتاب في سبعة أشهر! فلم يعجب ذلك

الرافعي فكتب يسخر من شروط المسابقة، فعادت اللجان تجتمع وعدلت الجامعة في المسابقة فزادت المدة إلى سنتين والمكافأة إلى مائتين مع طبع الكتاب على نفقتها، وشمر الرافعي عن ساعديه وقدح زناد فكره في تأليف كتاب، ولكن لا ليقدمه للجنة مسابقة الجامعة التي كان يرى أنها ليست من الكفاءة بحيث تحكم على كتابه، ولم يسل لعابه للمكافأة الكبيرة المرصودة وهو الموظف الصغير الذي لا يزيد رابته عن بضعة جنيهات والعائل لأسرة كبيرة، تضاءلت كل تلك الاعتبارات النفسية والمادية الصغيرة أمام اعتبار الرافعي لنفسه ويقينه بقدر الرسالة الجسيمة التي عاهد نفسه على تأديتها نحو أمته.

خرج الرافعي على الناس عام (1911) بكتابه الفريد "تاريخ آداب العرب" الذي بدأه سنة (1909) وطبعه على نفقته قبل حلول الأجل الذي حددته الجامعة متجاهلا بذلك الجامعة ومسابقتها ومكافأتها، ويعلم الله كم كلفه ذلك الكتاب من بؤس وضنك في حياته المعيشية ولكنها نفس الرافعي " الأبية الرفيعة"، ويروي شاهد عصره ومؤرخ سيرته الأستاذ محمد سعيد العريان أن هذا الكتاب قد أحدث انقلابا وأثرا ليس في مناهج الجامعة وطرق تدريسها للغة والأدب فحسب، بل في كل ما صدر من كتب بعد ذلك في هذا العلم، وأصبح اسم الرافعي على كل لسان، وكتابه موضوع نقاش وإعجاب في كل مجلس ومنتدى (أبو بكر حميد،2006).

ومات الرافعي الشاعر الأديب الذائع الصيت في طول العالم العربي وعرضه وراتبه لم يزد على بضعة وعشرين جنيها في الدرجة السادسة بعد خدمة ثمان وثلاثين سنة في وظائف الحكومة.

رحم الله الرافعي رائدا عظيما من رواد الأدب العربي في الإبداع والتنظير النقدي، وفي الدفاع الحار عن أصالة الكلمة ونبل الفكر، وشرف التعبير، لقد حاول الكثير من مؤرخي الأدب أن يتحدثوا عن الرافعي في حياته فقالوا شاعرا وقالوا كاتبا وقالوا أديبا، وقالوا عالما، ومؤرخا، ولكنهم لم يقولوا الكلمة التي ينبغي أن تقال، لقد كان شاعرا وكاتبا وأديبا وعالما ومؤرخا، ولكنه بكل أولئك وبغير أولئك كان شيئا غير الشاعر والكاتب والأديب وغير العالم والمؤرخ: كان"هبة الله إلى الأمة العربية المسلمة في هذا الزمان"(العريان، 1955،ص17).

على هذا يمكننا القول أن الإعاقة لم تكن عائقا أمام صاحبها نحو الإبداع والانطلاق بعزيمة وإرادة قوية وإصرار متواصل نحو التقدم والنجاح والتميز، بل بالعكس كانت دافعا قويا وباعثة على التحدي واثبات الذات وتحقيقها لذلك أبدع في عدة مجالات الحياة الأدبية والفنية والعلمية والفكرية.

إلا أن الأمر الذي ننوه عليه هو أنه لا يعني بالضرورة وفي كل الحالات أن نحصر إعاقات معينة في إبداعات معينة دون غيرها، فقد تنتصر قوة الإرادة والموهبة والإبداع على القدرات الجسدية لدرجة تبحث فيها الموهبة عن وسيلة تعويضية للتعبير عن إبداعاتها وبشتى السبل وفي مختلف العلوم، فنرى المعاق مبتور اليدين الذي يعزف أو يرسم برجليه، عندما اختار الرجلين كوسيلة بديلة للتعبير عن موهبته الإبداعية التي كانت أقوى من كل القدرات الجسدية.

وفي هذا الصدد استطاع العالم الأمريكي البريطاني الأصل "ستيفن هوجن" خليفة آينشتاين الذي لا يخفى مدى تأثيره الواضح في مجريات التطور والارتقاء بالإنسانية في النواحي العلمية ونظرياته المتطورة التي تفوق بها على أستاذه أينشتاين بالرغم من أنه معاق تماماً لا يستطيع تحريك أي جزء من جسده ولا حتى لسانه الذي انطوى داخل فمه كمضغة لحم رطبة ولا يتحرك منه سوى عقله الجبار الذي يمكنه من الإبحار في أقطار السموات وأعماق البحار وهو ملقى على كرسيه الخاص ذي العجلات والمزود بأحدث ما توصل إليه العلم من تقنيات تخوله التحدث بصوت آلي رقمي أجش شبيه إلى حد كبير بصوت "الروبوتات"، أصيب ستيفن بمرض عصبي وهو في الحادية والعشرين من عمره وهو مرض التصلب الجانبي،المرض المميت الذي لا علاج له، وتوقع الأطباء بأنه لا يعيش أكثر من سنتين، وبالتحدي والإصرار على النجاح استطاع قهر العجز وإبهار الأطباء بمجاهدته حتى تجاوز عمره الـ 72 عاما، ما أتاح له فرصة العطاء في مجال العلوم وبالتحديد علوم الفيزياء النظرية وبالرغم من هذا المرض جعله مقعدا يتحرك على كرسي متحرك تحدى الإعاقة فكريا وتصدى لها بإصرار وعزيمة فولاذية وحقق ذاته وأبدع في العلم والتأليف، حيث حصل على درجة الدكتوراه في علم الكون من جامعة كامبردج، وحصل على درجة الشرف الأولى في الفيزياء واستطاع أن يتفوق على أقرانه من علماء الفيزياء وبطريقة لا تصدق كان يجري كل الحسابات في ذهنه، وأصدر العديد من الكتب منها تاريخ موجز للزمن، وكتاب ثقوب سوداء (صلاح 2017).

كما نجد العالم الألماني شومان (1810-1856) كان من عباقرة الموسيقى والفن، أصيبت يده اليمنى بالشلل في بعض الأصابع، ثم أصابه ذهان الهوس، وحصل على لقب بروفيسور في العزف كان مؤلفا موسيقيا، وله مؤلفا موسيقية تصنف من الإبداعات.

إذن يمكننا القول من خلال النماذج التي ذكرناها ومهما كانت طبيعة إعاقتها، فان هؤلاء المعاقين لم يعرف اليأس طريقهم، ولم يعرقل طموحهم أي عائق، وبالإبداع والعزيمة هزموا وتحدوا الإعاقة وحولوها إلى طاقة ايجابية خلاقة للانجاز، واقتحموا مجالات عجز الكثير من الناس الوصول إليها، وخاضوا أدق التخصصات ليثبتوا أن الإعاقة طاقة و إرادة، وأن الإبداع والعطاء ليس حكرا على الأصحاء فحسب، وإنما حتى هم لهم نصيب في الإبداع والابتكار في شتى العلوم والميادين ، بل وأحيانا يتميزون بإبداع خارق وفي أكمل وأجمل صوره ، يعجز عن إتيانه حتى الأصحاء، إذ يوجد الكثير والأغلبية من المعاقين لم تكن الإعاقة يوما عائقا لهم ولم تقف في وجه إبداعاتهم ، بل بالعكس كانت هي الدافع القوي في إظهار تميزهم وتفردهم ، وهذا كونهم يتميزون بسمات شخصية فعالة كالاتزان الانفعالي والصلابة النفسية وضبط الذات إلى جانب مفهوم ذات عالي مما جعلهم لا يقعون فريسة للإعاقة أو عرضة لإحساس المحيطين بهم بالعجز نحوهم، بل بالعكس شجعوهم وساندوهم كأي أشخاص أصحاء، لكن لا يعني ذلك بالضرورة أن يكون كل معاق مبدعاً، بل إن الأشخاص المعاقين كسائر البشر تتراوح قدراتهم وفق التوزيع الطبيعي العام، وليس من المفيد تسويق المعاقين للمجتمع على الدوام بأنهم أشخاص موهوبون

بالمطلق ومختلفون، تسكنهم طاقات إبداعية صنعتها إعاقاتهم، بل يوجد أشخاص معاقين رأوا بأن إعاقتهم تمثل تهديدا لذاوتهم، وبالتالي أخذوا بالتقوقع على الذات وفضلوا الهروب والعزلة من المجتمع، والشعور باليأس وبفقدان معنى الحياة حيث الإحساس بعدم الجدوى من وجودهم وأنهم عالة على المحيطين بهم، واستسلموا لحالهم وواقعهم وبذلك انتصرت الإعاقة عليهم وجعلتهم سلبيين بل وجعلتهم عرضة لشفقة المجتمع.

خاتمة

خلاصة القول أن الإعاقة إذا ما سكنتها الموهبة والإبداع، فإن التعبير عنها أمر لا يحده حدود ولا توقفه قدرات جسدية وحسية، ولا يتأتى ذلك إلا باحتضان هذه الموهبة وتشجيعها أولاً من قبل الأسرة، ومن ثم من قبل المؤسسات المجتمعية، فالأشخاص ذوى الاحتياجات الخاصة الذين لديهم استعداد للإبداع أو التفوق في أي مجال من المجالات المتاحة عرضه للخطر إذا لم توفر لهم وسائل مناسبة للتعبير عن نواحي العجز والقصور وإظهار الجانب الإيجابي في شخصيتهم.

لقد تغيرت نظرة العالم للأشخاص ذوي الاحتياجات الخاصة، حيث لم يعد من الممكن استبعاد المعاقين بحجة عجزهم عن مواصلة الحياة الاجتماعية والأسرية والمشاركة في الإنتاج، وهو ما ترتب عليه احتياج هؤلاء الأشخاص إلى توجيههم للمشاركة الفعالة واستغلال طاقاتهم لخدمة أنفسهم ومجتمعهم.لأنهم إذا وجدوا العناية والاهتمام فلاشك أنهم سيبدعون ويتميزون عن غيرهم في مختلف المجالات، وما الشخصيات التي يزخر بها التاريخ كله إلا دليل دامغ على أن الإعاقة لم تقف عائقا في وجه الإبداع والابتكار بل بالعكس كانت الدافع القوي للتميز والتفرد، على هذا صدق من قال أن الإعاقة هي إعاقة الفكر والروح وليس إعاقة الجسد أو الحواس.

قائمة المراجع

- أبو الكاس،رائد.(2008). "رعاية المعاقين في الفكر التربوي الإسلامي في ضوء المشكلات التي يواجهونها"، رسالة ماجستير غير منشورة. الجامعة الإسلامية، غزة.
- أبو بكر حميد، محمد.(2006)." شخصية الأديب المسلم في حياة الرافعي ورسالته"
http://www.aljamaa.info/ar/detail_khabar.aspid=4857&idRub174
-البدري، مصطفى نعمان.(1991). الرافعي الكاتب بين المحافظة والتجديد.الطبعة الأولى.دار الجيل .بيروت.
- تيسير، صبحي.(1992). الموهبة والإبداع طرائق التشخيص وأدواته المحسوبة. دار التنوير العلمي.عمان
- الخطيب، جمال محمد و الحديدي، منى صبحي(2009).المدخل إلى التربية الخاصة.الطبعة الأولى.مطبعة دار الفكر.
- حمداوي، جميل. (2007). "سيرة أديب لطه حسين بين الذاتي والغيري"

http://www.diwanalarab.com/spip.php?article8286
- حسين، طه.(1974).الأيام. الجزء الأول.دار الكتاب اللبناني.بيروت.
- رشاد علي، عبد العزيز.(2008).علم نفس الإعاقة.مكتبة الانجلو المصرية.
- الرافعي، مصطفى صادق.(2003). وحي القلم. الجزء3.طبعة المكتبة العصرية.لبنان.
- الروسان، فاروق. (2001). سيكولوجية الأطفال غير العاديين مقدمة في التربية الخاصة، الطبعة3. دار الفكر للنشر والتوزيع.عمان.
- الشربيني، زكريا و صادق، يسرية.(2002). أطفال عند القمة الموهبة والتفوق العقلي والإبداع.الطبعة الأولى. دار الفكر العربي. القاهرة.
- صلاح، خالد.(2017). " تعرف على مشاهير من متحدي الإعاقة ابهروا العالم بإبداعاتهم"
https://www.youm7.com/story/2017/12/12
- الطيب الحسين، أنس و أورناصر،سهام.(2014)."مستوى الذكاء العام والإبداع لدى الطلبة ذوي الإعاقة البصرية في جامعة النيلين". المجلة العربية لتطوير التفوق: المجلد الخامس، العدد (8).
- عبادة، أحمد (1992). الحلول الابتكارية للمشكلات النظرية والتطبيق. دار الحكمة للنشر والتوزيع. البحرين.
- العريان، محمد سعيد.(1955).حياة الرافعي. المكتبة التجارية الكبرى.جمهورية مصر العربية.
- غضبان، مريم.(2006)." مساهمة الأسرة في ظهور السمات الإبداعية لدى الطفل"، رسالة ماجستير في علم النفس الاجتماعي،جامعة منتوري قسنطينة، الجزائر.
- القطاوي،سحر منصور.(2012). "فعالية برنامج للأنشطة المدرسية في تنمية التفكير الإبداعي لدى عينة من الأطفال المعاقين سمعيا". مجلة دراسات تربوية ونفسية: العدد(76)،كلية التربية جامعة الزقازيق.
- القصاب،وليد.(2007)."مقال حول التصور الإسلامي للنقد الأدبي عند الرافعي"
www.aljamaa.net/ar/
- كريم ،سامح. (د.ت). ماذا تبقى من طه حسين؟.(د.ط). دار العلم.بيروت.
- مرسي، عبد الحميد.(1975). الإرشاد النفسي والتوجيه التربوي والمهني. الطبعة الأولى مكتبة الخانجي.مصر.
- ميخائيل أسعد، يوسف.(1886).سيكولوجية الإبداع في الفن والأدب. الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة.
- الهلال، فبراير.(1987).نقلا عن جليلة الطريطر. مقومات السيرة الذاتية في الأدب العربي الحديث.ص349.